
الحجاب
حكم وأسرار
إعداد
أم سعد توحة عبد العزيز عبد ربه
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فلقد قامت الأخت (أم سعد) بتأليف رسالتها المرسومة بـ (الحجاب حِكَمٌ وأسرار) اطلعت عليها مراجعاً بطلب من مؤلفته فألفيتها رسالة قيمة طرزتها بالآية والحديث، وجملتها بالأثر، وغلفتها بالشفقة على المرأة المسلمة ناصحة إياها بالتستر بلباس الظاهر المستمد من الكتاب والسنة؛ ليسلم لها لباس الباطن ليتحقق من خلال ذلك شعبة الحياء والتي هي من شعب الإيمان.

شكر الله للأخت الداعية الكاتبة (أم سعد) والله أسأل أن يرزقنا وإياها الإخلاص في القول والعمل.

وكتبه

خالد بن إبراهيم الصقعبي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فلقد جاء الإسلام فوجد المرأة في المجتمع الجاهلي مظلومة مهانة تُباع وتشترى كالبهيمة والمتاع مسلوبة الحقوق فليس لها أدنى حق حتى حقها في الحياة فكان لوليها حق التصرف فيها بلا رقيب ولا

حسيب فله أن يواريها التراب وكان هذا من عاداتهم التي لا ينكرها عليهم أحد، وكانوا ينظرون إلى المرأة نظرة بشرية هابطة فكانوا يعدونها أداة للمتعة وإشباعَ الغريزة، وهذا يتضح جليًّا في أشعار الجاهليين حينما يصفون المرأة فيتعرضون لجسدها فيصفونه وصفاً هابطاً عن كل معاني التكريم والاحترام، وحينما أشرقت شمس الإسلام أخذ يرفع من شأن المرأة ويؤكد أنها ليست مخلوقة لإشباع نهم الغريزة كما يتصور الجاهليون، وإنما خلقت لحكمة عظيمة مرتبطة بإرادة الله تعالى في خلق الإنسان وعمارة الأرض، فهي المحضن الذي تنشأ فيه الأجيال وتدرج، وهي السكن الذي بدونه لا يقر للرجل قرار ولا يستقيم له حال، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: 189].

ولتكريم المرأة وإعلاء شأنها توالت الأوامر الربانية في الكتاب والسنة النبوية لإعداد هذا المحضن وصيانته وتطهيره حتى يكون مهيئًا لرعاية الأجيال التي تحمل أمانة الدعوة إلى الله تعالى، فأمر الله تعالى النساء بالتزام الحجاب، ونبذ التبرج، والقرار في البيوت، وعدم الخضوع في القول، وكل ذلك صيانة للمرأة وتكريماً لها وارتقاءً بها عن المستوى الحيواني الهابط الذي لا يعترف بالمرأة إلا جسداً، وبذلك أصبح للمرأة شأن عظيم في ظل الإسلام ومكانة عالية لم تصل إليها في ظل أي تشريع آخر؛ لأن الإسلام يخاطب المرأة كما يخاطب الرجل؛ فهي في

ظل الإسلام إنسانة مكلفة لها كيان ولها حقوق وعليها واجبات، وهي شقيقة الرجال كما قال أعظم معلم في البشرية ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**»(1).

فهذه هي نظرة الإسلام للمرأة، نظرة تكريم واحترام، ولكن تأبى شياطين الإنس لها هذا التكريم؛ فحسدوها على هذا الفضل العظيم واحتالوا عليها باسم التقدم والحرية؛ ليعيدوها مرة أخرى إلى حضيض الجاهلية التي نجاها الله منها؛ فقاموا بإغوائها ليخرجوها من حصنها ويجردوها من حجابها وعفتها، فألصقوا التُّهم بالإسلام فهذا والله هو عين الباطل.

فهؤلاء هم الذين يريدون أن يعيدوا المرأة إلى الجاهلية الغليظة التي لا تعترف بالمرأة إلا جسداً مجرداً من كل المعاني الفاضلة، والشاهد على ذلك ما يطرحه دعاة التبرج والانحلال من قضايا المرأة، فنراهم لا يهتمون إلا بجسد المرأة؛ كيف تعتني ببشرتها؟! وشعرها ورشاقتها؟ وكيف تكون أكثر جاذبية وجمالاً؟! وغير ذلك من غثاءٍ تُسخَّر له وسائل الإعلام المختلفة، و والله الذي لا إله إلا هو إن المؤمنة لتأبى هذا الاحتفاء بالجسديات وهذا الانحطاط بالذوق الجمالي؛ لأن في قلبها جمالاً أسمى من ذلك، جمالًا رفيعاً هادئًا نظياً، يسمو بها في

---

(1) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والبزار وهو حديث صحيحٌ.

آفاق الحرية الحقة، حرية العبودية لله الذي كرمها وأعلى شأنها بالإسلام.

وإسهاماً في تثبيت المؤمنات الصادقات وجهاداً لأهل الباطل من المفسدين والمفسدات أكتب هذه الكلمات – رغم قلة علمي وقصر جهدي – أبيّن فيها فضل الحجاب وأسراره العظيمة، تعزيزاً لشخصية المرأة المسلمة التي ترفض التبرج والانحلال، وإثارة لحب العفة وعلياء الحياء، والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، فهو حسبي ووكيلي نعم المولى ونعم النصير.

الفقيرة إلى عفو ربها

أم سعد

توحة بنت عبد العزيز عبد ربه

تعريف حجاب المرأة شرعًا [1]

الحجاب: مصدر يدور معناه لغة: على الستر والحيلولة والمنع.

حجاب المرأة شرعًا: هو ستر المرأة جميع بدنها وزينتها، بما يمنع الأجانب من رؤية شيء من بدنها أو زينتها التي تتزين بها، ويكون استتارها باللباس وبالبيوت.

أما ستر البدن: فيشمل جميعه، ومنه الوجه والكفان.

أما ستر زينتها: فهو ستر ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها.

---

(1) انظر حراسة الفضيلة للشيخ بكر أبو زيد (31).

شروط حجاب المرأة[1]

1 – أن يكون ساتراً سابغاً.

2 – ألا يكون في نفسه زينة.

3 – ألا يكون واصفاً؛ كالضيق والقصير والشفاف.

4 – ألا يكون من لباس الكفار، ولا من لباس الرجال، ولا من لباس الشهرة.

وهذا عن الحجاب الحسي، أما عن الحجاب المعنوي الذي هو جملة آداب المرأة المسلمة فشروطه هي :-

1 – أن تقر في البيت فلا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة.

2 – ألا ترقق قولها ولا تخضع فيه فيطمع الذي في قلبه مرض.

3 – ألا تبرز إلى الرجال الأجانب ولا تخالطهم.

4 – ألا تختلي برجل أجنبي، ولا تسافر إلا ومعها محرم أو زوج.

5 – ألا تخرج من بيتها متعطرة متزينة كي لا تكون فتنة!

6 – ألا تكشف الوجه ولا الكفين ذلك من العورة [2].

ومن استقرأ التاريخ يرى أن المرأة المسلمة كانت ملتزمة بحجابها وشروطه حريصة عليه حتى كان من كيانها ومن شخصيتها، فكانت بذلك تتمتع بعيشة هنيئة وحياة هادئة بعيدة عن المشكلات، وكانت تؤدي دورها التربوي على أحسن وجه، ومن ثم تخرَّج على يديها

(1) زينة المرأة المسلمة للشيخ عبد الله الفوزان (24).

(2) انظر: مسؤولية الآباء تجاه الأولاد للدكتور عبد الرب نواب الدين (61-62).

الأئمة، والعلماء، والمجاهدين، والصالحين، فرحم الله هذا الزمان الذي كان لا يُعرف فيه لحجاب المسلمة قضية!!

حِكَم الحجاب

أولاً: الحجاب امتثال لأمر الله تعالى: –

إن من مقتضيات ألوهية الله تعالى وربوبيته الأمر والنهي، فهو الذي خلقنا، ورزقنا، وهو مدبر أحوالنا، وإليه مصيرنا، ونحن عبيده، ومن علم حقيقة هذه العبودية ووفاها حقها؛ كان أحب العباد إلى الله، وأقربهم إليه، قال الله تعالى –كما ورد في الحديث القدسي – : «**وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**»[1] قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى – : ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى.

قال الطوفي – رحمه الله تعالى –: وفى الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأوامر، واحترام الأمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل[2].

ومن الأوامر التي أمرنا الله بها في كتابه الكريم الحجاب، فقد أمر النساء بالستر والحجاب والبعد عن مواطن الفتنة، وتكرر هذا الأمر الكريم في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ**

(1) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) انظر: فتح الباري (343/11).

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: 59].

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: 33].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: 53].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا... ﴾ [النور: 31].

وجاءت السنة المطهرة كذلك تأمرنا بالحجاب وتحذرنا من التبرج والسفور، فقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[1].

---

(1) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرأة عورة**»[1]، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله، احجب نساءك قالت عائشة: فأنزل الله آية الحجاب.[2]

فالحجاب أمر الله تعالى وحكمه الذي ارتضاه لنا، والذي فيه صلاح أحوالنا، فهلا ارتضيناه نحن لأنفسنا، وقلنا سمعنا وأطعنا، حتى نكون من المؤمنين الذين امتدحهم رب العالمين في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: 51].

فعلى كل مسلمة تريد الله والدار الآخرة أن تنظر للحجاب على أنه أمر الله الذي خلقها وسواها فتعظم أمر الله، وتعلم أنه ليس لها الخيار بعد قول الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب: 36].

وبهذا تكون الاستجابة لله تعالى التي عليها مدار فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ**

---

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني رحمه الله.

(2) رواه البخاري ومسلم.

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ سر عجيب ذكره ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتاب الفوائد، فقال: (**إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته**)[1].

فسبحان الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، لذلك كانت سرعة الاستجابة في أمر الحجاب دليل صدق الإيمان وحياة القلب الذي لا انشراح له ولا سعادة إلا في ظل سمعنا وأطعنا، أما من تعاند وتستكبر وتلهث وراء هواها ولا يقع في قلبها تعظيم أمر الله ورسوله، فهذا دليل على سفاهة عقلها؛ لأنها بذلك تورد نفسها المهالك وتعرضها لسخط الله وعقابه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 13].

---

(1) كتاب الفوائد لابن القيم (116).

ثانياً: الحجاب جهاد للنفس ودليل الإيمان الصادق

إن الله تعالى هو الملك الحق المبين الحكيم الخبير، خلق عباده وكلفهم بالأوامر والنواهي والأقدار؛ ليميز الخبيث من الطيب، ويعلم سبحانه من قام بأمره ومن ترك شهوته وهواه ابتغاء مرضاة مولاه، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: 2].

وإذا تأملنا طبيعة المرأة وما جبِلت عليه من حب لإظهار الزينة والجمال، وأن ذلك من فطرتها، علمنا أن أمر الله تعالى لها بالحجاب هو مادة اختبار ليعلم الله من صدقت في إيمانها مع الله قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: 18].

فحب الزينة من طبيعة المرأة والله تعالى هو الذي خلقها ويعلم ذلك منها، ثم يأتي الأمر الرباني الحكيم بإخفاء هذه الزينة وسترها عن الرجال الأجانب مع ما يعلم الله من حالها ومحبتها لإبداء زينتها، ولا شك أن هذا ابتلاء واختبار يتبين به صدق الإيمان الذي يهذب هذه الرغبة ويضبطها بضوابط الشرع، ويتبين به من أخلصت التوحيد لله فأحرقت إله الهوى في قلبها ونادت بنداء الإيمان في بيداء الفتن المهلكة بعد أن ولت ظهرها لأهل الباطل والتبرج قائلة بقول الله

تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: 64].

ثالثاً: الحجاب عبادة لله تعالى

سبق أن الحجاب أمر من الله تعالى، والقيام بأمر الله عبادة يحبها الله ويرضاها، ولكن يُشترط في العبادة حتى تكون مقبولة أن تكون خالصة لله تعالى، وتكون وفق مع شرعه الله؛ لذلك يجب على المرأة المسلمة أن تنظر إلى الحجاب على أنه عبادة تحتاج إلى الإخلاص، فهناك فرق كبير بين من ترتدي الحجاب على أنه عبادة، ومن ترتديه على أنه عادة، وذلك لأن الأمور بمقاصدها، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(1).

كذلك يجب أن تؤخذ أحكام هذه العبادة العظيمة من الكتاب والسنة الصحيحة، ومن أقوال العلماء الراسخين في العلم، لا من أرباب الهوى والجهل الذين يفتون بالأوهام والظنون التي يعدونها مصالح بزعمهم، فيحللون ويحرمون حسب أهوائهم وأغراضهم، وقد أُبتليت الأمة ببعض الذين يدعون العلم، فتلاعبوا بحجاب المرأة المسلمة، وقد تعالت أصواتهم واستطار شرهم عبر الفضائيات حتى تجرأ على حجاب المسلمة القاصي والداني، فنرى الآن من الفاسقين والفاسقات من أهل العفن الفني من يخرج ويفتي في الحجاب، ولا عجب فنحن في زمن أصبح فيه حجاب المسلمة قصعة مستباحة لكل أحد، ولله المشتكي وهو سبحانه المستعان.

---

(1) رواه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فعلى المسلمة أن تنظر وتتثبت من أين تتلقى أحكام هذه العبادة العظيمة، ولا تركن إلى أهل الهوى من علماء السوء، فهذا قد يوقعها فيما وقع فيه أهل هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 31].

وفي الآية الكريمة دليل على أن طاعة العلماء في معصية الله بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله مع العلم والرضا بذلك عبادة لهم من دون الله، وفي ذلك زجر لمن ترد أو تدع الآيات والأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب وهي تعلم ذلك؛ لقول زيد أو عمرو من العلماء، فلتحذر إنها على خطر عظيم قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63].

رابعاً: الحجاب مراغمة للشيطان

إن إبليس – أعاذنا الله منه – يحرص أشد الحرص على كشف السوءات وهتك الأستار، فالتبرج والسفور حبل من حبائله، وهو إمام دعاة التبرج والرذيلة، وزعيم الشرذمة التي تنادي بتحرير المرأة بزعمهم.

وقد بيّن الله تبارك وتعالى ذلك في كتابة الكريم وحذرنا من مكره وكيده حتى لا يوقعنا في هذه المعصية العظيمة فقال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا** ﴾ [الأعراف: 27].

والآية الكريمة تبين لنا بجلاء حرص الشيطان – لعنه الله – على نزع ستر بني آدم وكشف عوراتهم؛ لأن ذلك هو الطريق إلى وقوعهم في الفواحش العظيمة، ويذكرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن سبب خروج أبوينا من جنة النعيم إلى دار النصب والهموم طاعتهما لإبليس أعاذنا الله منه حيث نزع عنهما لباسهما، وهتك سترهما، فبدت لهما سوءاتها حينما أكلا من الشجرة المحرمة بإغواء من إبليس أعاذنا الله منه، فكان ذلك سبباً لخروجهما من الجنة وزوال الملك العظيم، والنعيم المقيم، وهذه سُنّة ربانية لا تتبدل، ما من أمة تتمرد على شرع الله ويتبرج نساؤها ويكشفن عن عوراتهن إلا أذهب الله ملكهم وأبدلهم من بعد عزهم ذلًّا.

فعلى كل مسلمة أن تحذر أشد الحذر من التبرج، وتعلم أنها بتهاونها في أمر حجابها أصبحت من جنود إبليس، وحبلاً من حبائله، أما إذا قامت بحق ربها، وتمسكت بحجابها فهي بذلك قد راغمت شيطانها وأغاظته، وهذه المراغمة ترضي الله عز وجل.

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: **(ولا شيء أحب إلى الله تعالى من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾** [التوبة: 120] **فمن تعبد لله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه يكون نصيبه من هذه المراغمة، وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ومن ذاق طعمه ولذته؛ بكى على أيامه الأول)**[1].

---

(1) من مدارج السالكين (226) باختصار.

خامساً: الحجاب إغاظة لأعداء الله

إن تمسك المسلمة بحجابها إحباط لجهود أعداء الله الذين بلغوا ذروة الجهد في الكيد للإسلام، فهم يعملون فينا بكلتا يديهم، يد تصبغ أراضينا بدمائنا، واليد الأخرى تصبغ وجوه نسائنا بالمساحيق، وشعورهن بالألوان العجيبة، وتكسو أجسادهن ثياباً لا ترضى الله؛ ليقضوا على ما تبقى من أخلاق.

والعجيب أن نسمع كثيراً ممن يحسبون على الإسلام ينادون بتحرير المرأة المسلمة من حجابها وكأنه سلاسل وقيود، ويصفونه أوصافاً منفرة، مثل أنه تخلف ، ورجعية، وجاهلية، وغير ذلك من البهتان.

ولهؤلاء أقول: إن حقيقتكم لا تخفى على ذي عينين، وكلامكم باطل في باطل، وسوف تجنون ثمار الشوك الذي تغرسونه في طريق الإسلام – إن لم تتوبوا – زقوماً في دار البوار بقدرة الله الواحد القهار، وقبل ذلك الخزي والخذلان في الدنيا قبل الآخرة.

ومن مظاهر خذلان هؤلاء ما نراه من بعض نساء المسلمين من ثبات على العفاف والحشمة رغم ما يبذل من جهود خبيثة، فنرى من نساء المسلمين من تتمسك بحجابها، ولسان حالها يقول لهؤلاء بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 119]. فتزهو بحجابها شامخة كالجبال الرواسي في خضم

أمواج المكائد والفتن وصدق الله العظيم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

فنرى من بناتنا ونسائنا من هي في عمر الزهور وفي نضرة الشباب الذي قد ينخدع به الكثير نراها وقد كُسيت بلباس الستر والعفاف، فإذا خرجت لضرورة رأيت العفة والحشمة والحياء تأخذ حافة الطريق، تتوارى عن أعين الرجال، وقد حملت بين جنبيها قلباً قد ملئ بخشية الله، وسترت وجهاً يشع نوراً وجمالاً لا يضاهيه زينة المساحيق والألوان، وقد بدا على وجهها سنةُ التقوى والصلاح ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29].

سادساً: الحجاب دليل الغيرة

إن الستر والحياء والغيرة على الأعراض من سمات الفطرة السليمة السوية أما التكشف والتعري من علامات تدني الهمم، ومن الصفات الحيوانية البهيمية.

ودليل على الانحطاط عن مستوى الإنسانية، وبرهان على موت الغيرة التي جبل عليها الإنسان السوي، وما تجرأت النساء على التبرج والتمرد على شرع الله إلا بعد أن ضاعت غيرة الكثير من الرجال، وضعفت القوامة التي كلفهم الله تعالى بها، فأين الحمية والغيرة على الأعراض؟!

إن مما يملؤ القلب حسرة وألماً أن نرى بعض نساء المسلمين يتجولن في الأسواق والطرقات متبرجات سافرات بلا رادع من دين أو حياء، وبجانبهن أشباه رجال قد رضوا بهذا الحال، ألم يعلم هؤلاء كم من حروب دقت طبولها في الجاهلية والإسلام غيرة على الأعراض؟!

إن الرجل السوي يأبى أن تمتد النظرات الخبيثة إلى محارمه، ويأبى أن تخرج إحداهن متبرجة سافرة تعرض مفاتنها في الطرقات وهو شاهد يقر ذلك ويرضاه.

فالفطرة السليمة تحرض الرجل على الغيرة على عرضه، بل تجعله يصون عرضه بماله ونفسه إذا لزم الأمر ذلك، لا أن يبذل ماله في شراء الثياب التي تكشف عورات محارمه، ولله در رجال من أمتي حموا

الحمى وصانوا الأعراض، ثابتين على الحق في زمن زلت فيه كثير من الأقدام، فقاموا على محارمهم حق قيام ولسان حالهم يقول:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه

لا بارك الله بعد العرض في المال

فإلى الذين تنكروا للفطرة السوية، والأخلاق الفاضلة، العودة العودة إلى الفطرة فطرة التوحيد التي فطرنا الله عليها قبل الندم، ويا رجال أمتي أخاطب فيكم حميتكم وأستثير رجولتكم لتهبوا فتنفضوا عنكم غبار الجاهلية الحديثة وتكفوا نساءكم عن هذا العبث الذي قد يكون ثمنه من أعراضكم.

كيف ترضى لنفسك يا أخا الإسلام أن تخرج امرأتك أو ابنتك تزهو بمفاتنها وزينتها بشكل يثير ذئاب البشر؟ أليس ذلك يُطمع فيها ضعاف النفوس وربما أطغاهم ذلك للنيل منها؟!

فما عساك أن تفعل يا أخي؟ تبكي وتتألم في وقت لا ينفع فيه الندم؟ أم تهب لتثأر لعرضك فتعرض نفسك للعقوبة والشقاء؟ ألست أخي في غنى عن ذلك كله بأن تقوم على أهلك حق القيام كما كلفك الله ؟.

قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: 34].

فتحفظ محارمك من التبرج وتصون أخلاقهن من السقوط وكرامتهن من الابتذال وشرفهن من الامتهان.

إن الرجال الناظرين إلى النساء

مثل السباع تطوف باللحمان

إن لم تصن تلك اللحومَ أسُودُها

أكُلت بلا عوض ولا أثمان

إن الغيرة على العرض جوهر إسلامي عظيم، بل من لوازم الإيمان؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله**»[1]. وقد شدد الإسلام على من يتهاون في هذا الأمر العظيم، ويقر السوء في أهله، فقال ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث**»[2].

---

(1) متفق عليه.

(2) أخرجه أحمد وسنده حسن.

سابعاً: الحجاب هو عين التحضر، والتبرج جاهلية

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: 33].

إن الحجاب والستر من علامات التحضر والذوق الرفيع، وإن للعفة والحياء جمالاً رفيعاً راقياً لا يدركه إلا أصحاب القلوب السليمة التي ملئت بنور الإيمان، فارتقت أذواقهم في سماء الطهر والعفاف.

أما أصحاب الذوق الجاهلي الغليظ لا يدركون هذه المعاني، ولا يدركون إلا جمال اللحوم العارية السافرة، وذلك لانغماسهم في شهواتهم فتاهت أرواحهم في ظلمة الأجساد بعد أن انسلخوا من شرع الله، فأظلمت قلوبهم وانتكست فطرتهم، وأصبحوا لا يعترفون إلا بالرذائل فهي زادهم، فصارت الفضيلة في نظرهم رذيلة، وأصبح المعروف عندهم منكراً.

وإذا كان هذا حالهم، فلا عجب أن نسمع منهم أن الحجاب تخلف ورجعية ، وجاهلية ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30]. كيف صموا آذانهم عن هذه الآية الكريمة: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ أم يعلموها؟! أم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

إن الآية الكريمة صريحة وواضحة في ذم التبرج ووصفه بأنه من مخلفات الجاهلية البغيضة، وفيها النهي عن التشبه بهذه الجاهلية، والتي تبدو محتشمة إذا ما قورنت بجاهلية هذا الزمان، فإذا رجعنا إلى أقوال المفسرين عن تبرج الجاهلية الأولى التي يندد بها القرآن لفزعت القلوب من بشاعة تبرج الجاهلية التي يعيشها الناس الآن. قال ابن كثير – رحمه الله – : **(والتبرج أنها تُلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها، وذلك هو التبرج)**[1].

فإذا كان ذلك التبرج من الجاهلية التي يبغضها الله ويأباها للمؤمنات فماذا نسمي تبرج النساء في هذا الزمان؟!

ومن هنا يتبين زيف شبهات أعداء الحجاب الذين يصفون الحجاب بأنه من مظاهر التخلف والرجعية، وإنه يعوق المرأة عن الرقي والتحضر، وهؤلاء شبهاتهم مردودة بالآية الكريمة السابقة، وكذلك بالنظر إلى الواقع كما أنها مردودة بالعقل، فمن الواقع ننظر إلى المجتمعات الإسلامية التي نبذت الحجاب وفشا فيها التبرج هل تقدمن وصارت في عداد الدول الصناعية الكبرى؟!

وهل النساء اللاتي وطئن الحجاب تحت أقدامهن أصبحن عالمات نهضن ببلادهن وحققن المعجزات العلمية؟! فو الله الذي لا إله إلا

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي (490/3).

هو إن ملء الأرض من هؤلاء النساء المتبرجات المتمردات على شرع الله لا يبلغ معشار ولا يداني مقام واحدة من الفقيهات المسلمات اللاتي التزمن الستر والحجاب، واللاتي سطر التاريخ سيرتهن بحروف من نور.

وهذا نداء العقل يتساءل ما علاقة التقدم والحضارة بعورات النساء؟ هل أبت الحضارة إلا أن تقوم على أشلاء العفة والستر والحياء؟ وهل اشترط التحضر والرقي أن تبذل المرأة جسدها رخيصاً لكل فاسق؟! وإن كان ذلك فلا بركة ولا خير في حضارة بلا إيمان ولا ضمير ولا حياء وإن كبرت وعظمت في عيون الساذجين الجاهلين، فهؤلاء الذين بحضارتهم يفرحون قد وصفهم رب العالمين بالغافلين في قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم: 7].

والحق أن هؤلاء لا يريدون بتبرج المرأة حضارة ولا تقدمًا، ولكن يريدون أن تكون المرأة سلعة رخيصة في يد العابثين يريدونها كلأً مباحاً لشهواتهم يريدون امرأة متحررة من كل فضيلة وحياء ليتاجروا بها في أسواق الرذيلة وصدق الله العظيم: ﴿ **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا** ﴾ [النساء: 27].

ثامناً: الحجاب صيانة للأعراض

إن الشريعة الإسلامية الغراء جاءت بالمصالح العظيمة، ومن هذه المصالح صيانة الأعراض، ولذلك سدت جميع الذرائع التي تفسد العرض وتدنسه، والحجاب من وسائل صيانة الأعراض لما فيه من صيانة للمرأة وحفظ لجمالها عن أعين الفاسقين والسفهاء الذين قد يتطاولون عليها.

ولا شك أن المرأة التي تحافظ على حجابها وحشمتها أبعد عن الأذى ، أما المرأة التي تخرج من بيتها متبرجة سافرة هي التي يطمع فيها أصحاب القلوب المريضة فيحاولون التعرض لها واستدراجها حتى ينالوا منها والعياذ بالله ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: 59].

قال مجاهد – رحمه الله –: (يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى) [1].

قال ابن السعدي – رحمه الله –: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ ، دل على وجود أذية إن لم يحتجبن، وذلك لأنهن إذا لم

(1) تفسير ابن كثير (518).

يحتجبن ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض فيؤذيهن، وربما استهين بهن، إلى أن قال – رحمه الله تعالى – : **فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن**[1].

وبذلك يكون الحجاب حصناً تتحصن به المؤمنات من عيث العابثين ومرضى القلوب، وهذا من رحمة الله تعالى بالمؤمنات حيث شرع لهن ما فيه إكرامهن فلله الحمد والمنة.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (672).

تاسعاً: الحجاب طهارة للقلوب

إن القلب هو وعاء الإيمان، وعلى قدر طهارة القلب من الشبهات والشهوات يكون نصيبه من الإيمان، فالإيمان لا يتمكن إلا من قلب طاهر نظيف، فمتى طهر القلب؛ كان الإيمان المثمر الذي يثمر الطيبات من الأفعال والأقوال.

لذلك كان الاهتمام بالقلب من أُسس هذه الشريعة المباركة، وكان الاهتمام بطهارته وتصحيحه من مقاصدها لما فيه من عظيم الأثر على الجوارح، قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»(1).

ومن وسائل طهارة القلوب الحجاب قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: 53]، فالحجاب طهارة للقلب وحصن لما ينفثه الشيطان في القلب من سموم الشهوة ودنسها، فالحجاب أطهر لقلوب النساء؛ لأنه يغلق على الشيطان باباً عظيماً في إفسادهن؛ وجرهن على الرذائل؛ لأنه يأتي إلى المرأة إذا خرجت من بيتها سافرة متبرجة ويصور لها أنها أجمل النساء وأن كل من ينظر إليها يعجب بها

(1) رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

ويستحسنها، قال النبي ﷺ: «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان**...» الحديث[1].

استشرفها: تطلع إليها وطمع فيها. وهذا يجعل المرأة تزيد في تكلف الزينة، فتظل مشغولة القلب بهذا الأمر، ويصبح همها الوحيد إشباع هذه الرغبة، كيف تحصل على عبارات المدح والثناء؟! وخطوة يتشتت القلب ويقسو وتبدأ رحلة الشقاء.

كذلك الحجاب أطهر لقلوب الرجال وأزكى لنفوسهم ، فالنظر إلى النساء المتبرجات سهم من سهام إبليس؛ لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بغض أبصارهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30].

قال العلامة ابن السعدي – رحمه الله تعالى –: ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ عن النظر إلى عورات النساء الأجنبيات، وإلى المردان الذين يخافوا بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن وتوقع في المحظور [2].

---

(1) رواه الترمذي.

(2) تيسير الكريم الرحمن (566).

فالحجاب طهارة للقلوب وزكاة للنفوس، وهذا هو كلام طبيب القلوب وخالقها والعليم الخبير بأحوالها تبارك وتعالى، فلماذا الخلاف والشقاق والاستكبار على أمر الله تعالى فالله جل وعلا يقول: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وأعداء العفة والحجاب: يقولون ذلك أفسد لقلوبكم وقلوبهن، فالحجاب في نظرهم هو سبب الفساد الخلقي، والكبت، والعقد النفسية والعصبية، وهؤلاء هم أفراخ فرويد اليهودي صاحب النظريات الذي يدعو فيها إلى التحلل من الدين والأخلاق والتقاليد؛ لأنها سبب للعقد والأمراض النفسية، ويحرض فيها المرأة على تحقيق كيانها تحقيقاً جنسيًّا خالصًا من القيود، ولهؤلاء أقول بقول رب العالمين: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 140].

إن الله الذي خلق القلوب هو أعلم بما يصلحها وما يفسدها، فمن أراد صلاح قلبه وطهارته؛ فعليه بشرع الله، ومنهج الله الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

عاشراً: الحجاب حرية والتبرج عبودية

قال الله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [هود: 1-2]. ألا تعبدوا إلا الله كلمة الفصل بين الحق والباطل، ومفرق الطريق بين السعادة والشقاء، وباب واسع لتحرير البشرية من العبودية الذليلة لأرباب باطلة، فما من سبيل إلى الحرية والكرامة الحقيقية إلا بالتوحيد المطلق، فلا حرية إلا في ظل عبودية الله، فمن أبى هذه العبودية؛ ابتلاه الله بشر أنواع العبودية التي تسلب كرامته، وتسحق آدميته، وكما سبق أن الحجاب ليس مجرد ثياب تلقيها المرأة على جسدها، ولكنه عبادة تدين بها المسلمة لربها، لذلك لا حرية للمرأة إلا في ظل التعبد لله بالحجاب الذي ارتضاه الله لها، فإن امتثلت لأمر الله تعالى؛ فهي الحرة الكريمة، وإن أبت فهي والله الأمة الذليلة.

قال الشيخ سيد قطب – رحمه الله تعالى –: (وإن الإنسان ليبصر أحياناً المرأة المسكينة وهي تلبس ما يكشف عن سوءاتها، وهو في الوقت ذاته لا يناسب شكلها ولا تكوينها، وتضع من الأصباغ ما يتركها شائهة ومثار للسخرية! ولكن الألوهية القاهرة لأرباب الأزياء والموضات تقهرها تذلها لهذه المهانة التي لا تملك لها ردًّا، ولا تقوى على رفض الدينونة لها.

فينبغي أن نعلم أن كثيراً من الأموال والجهود تضيع إلى جانب الأعراض والأخلاق في سبيل هذه الأرباب! إن من البيت ذا الدخل المتوسط ينفق على الدهون والعطور والصباغ وعلى تصفيف الشعر وكيه وعلى الأقمشة التي يصنع منها الأزياء المتقلبة عام بعد عام، وما يتبعها من الأحذية المناسبة والحلي المتناسقة مع الزي والشعر والحذاء! إلى آخر ما تقتضي به تلك الأرباب النكدة...

إن البيت ذا الدخل المتوسط ينفق نصف دخله، ونصف جهده لملاحقة أهواء تلك الأرباب المتقلبة التي لا تثبت على حال، ومن ورائها اليهود أصحاب رؤوس الأموال الموظفة في الصناعات الخاصة بدنيا تلك الأرباب، ولا يملك الرجل والمرأة وهما في هذا الكد الناصب أن يتوقفا لحظة عن تلبية ما تقتضيه تلك الدينونة النكدة من تضحيات في الجهد والمال والعرض والخلق على السواء!)[1].

لقد سامتهم شياطينهم أبشع ألوان الذل والعبودية، فاخترعت لهم ما يسمى بالموضة، وبالموضة يرى كل ذي بصيرة إلى أي درك انحدرت عقول المتبعين لها، فتارة تأمرهم شياطينهم بتقصير الثياب إلى ما فوق الركبة، وتارة يقررون أن تقصيرها يجب أن يكون تحت الركبة بقليل وتارة وتارة...

(1) في ظلال القرآن م (1940/4- 1941).

والمرأة في كل هذا تسير كالمأخوذة، وكأن هناك يداً تسوقها وتستعبدها، فهل هناك عبودية أذل من هذه العبودية؟)[1].

وإن تعجب فعجب قولهم (حرروا المسلمة من حجابها) ومتى كانت المسلمة أَمَة ليحرروها، إن المسلمة حرة بعبوديتها لله وحده، أما التي تحتاج إلى تحرر فهي المسكينة أسيرة هواها أمَة أرباب الأزياء والموضات عنها فليناضلوا، أما المؤمنة فإنها تأبى هذه المذلة، وتأنف هذه التبعية البغيضة التي تسحق استقلالها وكرامتها، وتنزع عنها ثوب عفتها، وقد عُرفت المسلمة الحرة بحرصها على حجابها حتى كان من شيمها، ويذكر أن النميري لما أنشد عند الحجاج قوله:

يخمرن أطراف البنان من التقى

ويخرجن جنح الليل متعجرات

قال الحجاج: وهكذا المرأة الحرة المسلمة.

(1) التبرج أخطر معاول الهدم والتدمير في المجتمع الإسلامي (17) بتصرف واختصار.

حادي عشر: الحجاب مخالفة لأصحاب الجحيم

لقد حرص الإسلام على تربية المؤمن تربية نفسية قائمة على الاستقلالية ونبذ التبعية البغيضة، حتى يكون المؤمن عزيزاً بهذا الدين العظيم الذي جاء ليكون أصحاب قدوة لغيرهم لا إمعة لدعاة الباطل والضلال، فالمؤمن في ظل الإسلام ذو شخصية مستقلة، وهمة عالية لا يأخذ منهجه إلا من شرع الله، ولا يرضى غيره منهجاً في عقيدته، وسلوكه، وهديه الظاهر، وكل أمور حياته، وهكذا ربى النبي ﷺ أمته فقد ورد في سنته ﷺ النهي، والوعيد الشديد لمن يتبع أو يتشبه بالأمم الكافرة من اليهود والنصارى فقال ﷺ: «**ليس منا من تشبهه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»[1]، وقال ﷺ: «**من تشبهه بقوم فهو منهم**»[2]، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: الحديث في أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر التشبه بهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[3].

ولكن هناك بعض الساذجات من نساء المسلمين من ترفض هذه العزة وهذه الكرامة وتأبى إلا أن تكون إمعة تتبع اليهوديات والنصرانيات حذو القذة بالقذة وصدق النبي ﷺ حيث قال: «**لتتبعن**

(1) أخرجه أحمد وحسنه الألباني رحمهما الله.

(2) أخرجه أبو داود وأحمد وإسناده جيد.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (83)، تحقيق محمد حامد الفقي.

سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراع بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟!»[1].

وقد تعتقد هذه المتبرجة أن تشبهها بالكافرات مسألة لا دخل لها بالعقيدة ولا بالإيمان وتنسى أن التشبه إنما كان وليد الإعجاب بهؤلاء والميل لهم، وهذا يقدح في براءتها من الشرك وأهله، وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (التشابه الظاهر في الزي والشكل والسلوك، والعادات لابد أن يورث نوع مودة، ومحبة، وموالاة بين المتشابهين في الباطن، منه ما يسمى عند علماء النفس (اللاشعور) كما أن المحبة أيضاً في الباطن، قد تورث تناسبًا وتشاكلاً في الظاهر[2]، لذلك كان الحجاب مخالفة صريحة لهؤلاء المغضوب عليهم والضالين، وكان إعلاناً واضحاً للبراءة من هؤلاء، وتميزاً بيناً ونبذاً لهديهم الظاهر الذي أملاه لهم دينهم الفاسد المحرف، الذي جعلهم كالأنعام بل هم أضل.

هل يستوي من رسول الله قائده
دوماً وآخر هاديه أبو لهبِ
وأين من كانت الزهراء أسوتها
ممن تقفت خطى حمالة الحطب

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم تحقيق ناصر العقل (44).

ولا يخفى أن التبرج والسفور من سنن اليهود والنصارى وهذه السنة لم تتبدل حتى اليوم، وقد ذكر النبي ﷺ شيئاً من تبرج نساء بني إسرائيل فقال ﷺ: «**كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين، فتخذت رِجْلَيْن من خشب وخاتم من ذهب مغلفاً بطين، ثم حشته مسكاً وهو أطيب الطيب، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها، فقالت بيدها هكذا**»[1] وهذه السنة التي سنتها هذه المرأة اليهودية ما تفعله كثير من النساء اليوم كالآتي يستخدمن الأحذية ذات الكعب العالي أو يظهرن حليهن وزينتهن عند الخروج متطيبات متعطرات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(1) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري.

ثاني عشر: الحجاب صيانة للمجتمع من الفساد

إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات، ولا تثار فيه الغرائز، لذلك جاءت كثير من الأحكام الشرعية العقابية، والوقائية للحفاظ على طهارة المجتمع المسلم، ومن الوسائل الوقائية لحفظ المجتمع الحجاب، قال الشيخ سيد قطب – رحمه الله –: لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي وطهر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب بل الطابع الإنساني المهذب فجمال الحشمة هو الجمال النظيف الذي يرفع الذوق الجمالي ويجعله لائقاً بالإنسان ويحيطه بالطهارة والنظافة في الحس والخيال)[1] (ولقد حرص اليهود على إفساد مجتمعات المسلمين وذلك بإخراج المرأة من بيتها سافرة متبرجة، فبيوت الأزياء وبيوت الزينة كل همها أن تجعل المرأة فتنة للرجال تشغل باله بالفتنة والإغراء، وتحل في قلبه عقدة العقيدة، وينقلب العالم إلى مستنقع يعج بالشهوات الدنسة يغرق فيها الرجال إلى آذانهم، وعندئذ يثب اليهود على ظهور الساذجين، ويحققوا الحلم الشيطاني الأكبر الذي ترسمه كتبهم المقدسة المشحونة بذلك الإيحاء الخبيث)[2] وكيف يتقدم مجتمع كل همه الشهوات، كل طاقاته مهدورة في اللهث وراء الغرائز، هل يتصور أن

(1) في ظلال القرآن م (2513/4).

(2) جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب (41) بتصرف.

يرقى هذا المجتمع أو يتقدم؟ وهل يتصور أن يسعد مثل هذا المجتمع في دين أو دنيا؟ إن الواقع يشهد أن المجتمعات التي شاع فيها التبرج والاختلاط بين الجنسين هي أكثر المجتمعات تعاسة وعقد نفسية وعصبية، وأكثر نسبة جرائم أخلاقية، وأكثر نسبة تفكك أسري، وأكثر نسبة طلاق، وذلك لأن الرجل إذا قلب بصره في صور المتبرجات ليل نهار، ورأى من المفاتن التي تحرص المتبرجات على إبدائها للرجال قلما يقنع بعد ذلك بزوجته؛ بل إن الشيطان يحرص على تقبيحها في عينيه، فتبدأ المشكلات الزوجية التي تنتهي في الغالب بالطلاق.

كذلك التبرج من أسباب إشاعة الفاحشة ، وباب إلى اختلاط الأنساب، والعداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، فلماذا يحرص بعض أبناء قومنا على نزع حجابنا أليس هذا لعباً بالنار؟ فيا بني جلدتنا، ويا من تتكلمون بألسنتنا اتقوا الله في مجتمعات المسلمين، وكفاكم تسويداً لصفحات الصحف والمجلات همزاً ولمزاً للعفيفات المؤمنات المحجبات، وكفاكم قرعاً لأبواب الفتن المهلكات، وتحريضاً على هتك العورات والسوءات، واعلموا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: 19].

فالحجاب هو صمام الأمان، ووقاية من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية المدمرة، فالتبرج والاختلاط المحرم أصل كل بلية وشر كما قال ابن القيم – رحمه الله – : (ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة واختلاط الرجال والنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة)[1] وهذا يتبين لكل منصف أن شريعتنا الإسلامية الغراء التي ارتضاها لنا الحكيم الخبير هي خير منهج لمن أراد سعادة الدنيا والآخرة، وصدق الله العظيم:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50].

(1) الطرق الحكيمة لابن القيم (287) وانظر زينه المرأة المسلمة (186) وما بعدها للشيخ عبد الله الفوزان.

ثالث عشر: الحجاب وقاية من اللعنة ومن عذاب الله

لقد امتَّن الله علينا في كتابه الكريم بنعمة اللباس، فقال تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: 26].

ومن هنا يجب على كل مسلم ومسلمة أن يراعي تقوى الله تعالى في هذه النعمة العظيمة ولا يتعدى فيلبس لباساً محرماً عليه، فمن اتقى الله ولزم طريق الاستقامة؛ فاز بنعيم الدنيا والآخرة.

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عريانًا وإن كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً

ولكن تأبى كثير من نساء المسلمين الآن إلا أن تكفر هذه النعمة وتتعدى وتبارز ربها بالمعصية فتتبرج، وتخرج في زينتها لتفتن عباد الله، ألم تعلم أن هذا محرم في دين الله جل وعلا؟!

أم هي الغفلة عن عقاب علام الغيوب؟!

الذي توعد المتبرجات على لسان نبيه ﷺ باللعنة، وهي الطرد من رحمته سبحانه وتعالى، فقال ﷺ «**سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البُخت، العنوهن فإنهن**

ملعونات»[1]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «**لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**».

وقال النبي ﷺ : «**سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات**»[2].

فإذا كانت عقوبة التبرج هي اللعن فمن في غنى عن رحمة الله حتى لا تبالي بالطرد منها؟ وكيف يكون ذلك في حق عاقلة تشتري التبرج والسفور برحمة الله لا شك أن هذا هو الضلال المبين والخسران العظيم وصدق الله العظيم ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة: 16].

بئست التجارة، وبئس الحال يوم المآل ، يوم تأتى المتبرجة تدعو بالويل والثبور وتعض أصابع الندم في يوم لا ينفع فيه الندم ، ذليلة مطرودة من رحمة الله. قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا تسأل عنهم.... وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم**»[3] فلا ينفعها يومئذٍ ما كان مدح

(1) أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(2) رواه ابن حبان وحسّنه الألباني.

(3) أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه الألباني.

المادحين وثناء المعجبين، بل يتبرأ منها القريب قبل البعيد، وما ربك بظلام للعبيد، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17].

رابع عشر: الحجاب هو العفاف

قال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 60].

هذه الآية الكريمة تبين حكم الحجاب للمرأة الكبيرة، ودلت الآية أن المرأة الكبيرة خير لها أن تحرص على حجابها ولا تضعه، وسُمي ذلك استعفاف، وذلك للارتباط بين الحجاب والعفاف، ولا ريب أن اختيار الله هو الخير كل الخير، ولذلك كانت حفصة بنت سيرين تحرص على حجابها وهي امرأة كبيرة، فعن عاصم الأحوال قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به، فنقول لها: رحمكِ الله قال الله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ هو الجلباب قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ فتقول: هو الحجاب»[1].

فالحجاب عفاف وذلك لأنه يقي المرأة المسلمة من سوء الظن بها، وقالة السوء، ودنس الريبة.

---

(1) أخرجه البيهقي (93/7)، وانظر زينة المرأة المسلمة.

حور حرائر ما هممن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام

أما المتبرجة فتضع نفسها في مواضع الريبة، وسوء الظن من الآخرين، وإلا ما معنى أن تخرج المرأة من بيتها بزينتها إلى الطرقات والأسواق؟ إنها والله بلسان حالها تقول: هل من ناظر إلي؟! فهي تعرض نفسها في الطرقات كالبائع المتجول الذي يعرض بضاعته ليسترعي الأنظار، ويغري النفوس لترويج بضاعته، لذلك نجد المرأة المتبرجة هي أكثر النساء عرضة للمعاكسات، وكلمات الساقطين، وهي قريبة المنال لذئاب البشر، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

خامس عشر: الحجاب شكر لنعمة الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6-8] قال العلامة عبد الرحمن السعدي – رحمه الله تعالى – : ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقارًا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ في أحسن تقويم ﴿فَعَدَلَكَ﴾ وركبك تركيباً قويماً معتدلاً، في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم؟ أو تجحد إحسان المحسن؟ (1)

فيا أيتها المتبرجة ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ هل أمنت مكر الله؟ قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

والخسران كل الخسران أن تنظر المرأة إلى صورتها في المرآة فترى وجهاً جميلاً0 وخلقة قويمة، وهي تأمن مكر الله، ثم تخرج إلى الطرقات

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (914).

والأسواق لتفتن عباد الله، وتنسى أن تشكر الله على هذه الخلقة السوية فتحجبها عن الأجانب كما أمرها الله تعالى، وتسترها عن أعين الأجانب وتغتر بالصحة والعافية و تأمن أن تسُلب هذا الجمال، وهذه العافية في طرفة عين أو أقرب من ذلك فكم من جميلة مغرورة بجمالها سُلب منها هذا الجمال بغتة إما بحادث تركها مشوهة أو بمرض جعلها طريحة الفراش تعض أصابع الندم وهي تقول بقول الله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: 56].

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: (فكم لله على عبده من نعمة سابغة في هذه الأعضاء والجوارح والقوى، والمنافع التي فيه، فهؤلاء يلتفت إليها، ولا يشكر الله عليها، ولو فقد شيئ منها لتمنى أنه له بالدنيا وما عليها، فهو يتقلب في نعم الله بسلامة أعضائه، وجوارحه، وقواه، وهو عار من شكرها، ولو عرضت عليه الدنيا بما فيها بزوال واحدة منها لأبى المعاوضة وعلم أنها معاوضة غبن ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: 34] [1].

---

(1) مفتاح دار السعادة (226).

فالمتبرجات نساء كساهن الله بنعمته، فوهبهن الجسد المتناسق والهيئة الجميلة فكفرن تلك النعمة، وغفلن عن شكرها، إنهن حقًّا كاسيات بنعمة الله عاريات عن شكرها.

سادس عشر: الحجاب كف للأذى

إن الشهوات هي مادة الامتحان التي قدرها الله في هذه الدنيا زينة لها وابتلاء للناس: قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14]. ومن أخطر هذه الشهوات النساء، لذلك عدها الله تعالى في أول الشهوات، وقال ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»(1)، وقال ﷺ: «**اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء**»(2).

وذلك لما للمرأة من قوة تأثير على الرجال، فالمرأة تستطيع إن شاءت أن تجعل من نفسها بلاءً صاعقاً للرجل، وذلك بما تبذله من أسباب تثير نوازعه الشهوانية وتبعده عن أسباب الاستقامة، والعفة والأخلاق الفاضلة، ولذلك أُمرت المرأة بالحجاب حتى تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال، وهذا من أعظم الأسباب التي تعين الرجل على الاستقامة الخلقية، وضبط النوازع الشهوانية، وبالتزام المرأة بحجابها تكون قد كفت أذاها عن عباد الله وأعانتهم على الاستقامة

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(2) أخرجه مسلم.

الأخلاقية، وهذا لا شك من أفضل القربات إلى الله تعالى، ومن باب التعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

وأما من تتعمد فتنة عباد الله بتبرجها؛ فقد توعدها الله تعالى بالعذاب الأليم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: 10].

سابع عشر : الحجاب عنوان الحياء

قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[1].

«الحياء خلق يودعه الله تعالى في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث على الفضائل ويدفع في وجوه الرذائل وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخلق الإسلام، والحياء شعبة من الإيمان»[2].

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» وفي رواية لمسلم «**الحياء خير كله**»، والحجاب من الحياء الذي تقضيه طبيعة المرأة ، والتي فطرت عليه، ولهذا كانت مضرب المثل في الحياء، فيقال: «**أشد حياءً من العذراء في خدرها**»، وإذا فقدت المرأة الحياء فلا تسأل عنها.

فلا والله ما في العيش خير   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العود ما بقي اللحاء

---

(1) رواه البخاري من حديث أبي مسعود عقبة بن عمر الأنصاري.

(2) حراسة الفضيلة (87).

ولقد بين لنا القرآن ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من خلق وحياء فقال تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: 25].

فوصف لنا مشية هذه الحرة الشريفة مشية عنوانها الحياء والنقاء والطهر، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : (**كانت مستترة بكم درعها**)[1]. ولا شك أن المتبرجة التي نبذت حجابها وراء ظهرها أبعد عن هذا الخلق العظيم خلق الحياء الذي إذا نُزع من امرأة فلا تلقاها إلا شيطانة في صورة آدمية، فاسدة مفسدة والعياذ بالله.

(1) تفسير ابن كثير (238/6)، وانظر قواعد وفوائد من الأربعين النووية (182).

((رسالة إلى محجبة))

إلى من آمنت بالله ربًّا، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وسارعت إلى مراضاة الله والتزام أمره سبحانه بالحجاب: الثبات الثبات يا أخت العقيدة، فأنت في رباط، وعلى ثغر من ثغور الإسلام قد تكاثرت عليه سهام الحاقدين، فلا تتخاذلي، ولا تهني، فأنتِ على الحق، والحق ظاهر بأمر الله مهما علا الباطل وانتفش.

أوصيك بتقوى الله، والصبر، فهما العدة في جهادك، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

وليكن العلم الشرعي زادك، والحجة والبرهان سلاحك، واحرصي على مرافقة الصالحات، وإياك من مخالطة المفسدات المفتونات قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

أوصيك أختاه بتجميل باطنك بالعلم والحكمة: كما جملت ظاهرك بالحجاب والعفة، حفظك الله وبارك فيك ونف بك أمتك، وجعلكِ سهماً في نحور الماكرين.

((رسالة إلى متبرجة))

أختاه اعلمي أن الله تعالى لم يخلقنا عبثاً قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115]. وإن أمر وجودنا في هذه الحياة أمر عظيم وإن الهالكين في هذه الدنيا أكثر من الناجين، فلا ينسينك هَوَانها كثرة المتهافتين عليها، واعلمي أن الناس يجتازون إلى الله في هذه الدنيا بساعة امتحان، طالت هذه الساعة أم قصرت، فلا تغتري بحلم الله عليك، وسارعي إلى مرضاته سبحانه وتعالى ولا تترددي في اللحاق بركب الصالحات؛ لتفوزي بجنة عرضها السموات والأرض، ولتكن همتك أسمى من التأسي بالفاسقات العاريات ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: 44].

واعلمي أختاه أن الإسلام هو الاستسلام والإذعان والانقياد لأمر الله تعالى فلا تنتظري من يقنعك بأمر الحجاب؛ لأن المسألة في أصلها مسألة امتثال وانقياد لأمر الله تعالى.

والآن أختاه أتركك مع ضميرك لتختاري مصيرك، واعلمي أنك لن تضري الله شيئا ﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء: 15].

وختاماً أختاه اعلمي أن من ورائك أختًا لك في الله لن تمل من دعوتك إلى الحق، والدعاء لك بظهر الغيب أن يفتح الله على قلبك بالحق، وأن يجعلك من المهتدين ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: 18].

((رسالة إلى ولي أمر المرأة))

إن التبرج معصية ، وكبيرة من الكبائر المهلكة، وليست المتبرجة وحدها هي المسؤولة عن ذلك وإنما وليها شريك معها في هذه المعصية، ومسؤول أمام الله تعالى عن تفريطه وسوء رعايته، قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته...**» الحديث[1].

وإني والله لأعجب أشد العجب من رجل لا يعرف من أمر الحياة الزوجية إلا بيتاً يأوي إليه إذا أنهكه السهر مع الأصحاب، ليلتقط لقيمات، ثم يهرع إلى فراشه لينام، ثم يخرج ثانية، فهو لا يعرف من أمر بيته شيئاً فلا يدري عن زوجته وبناته شيئاً كيف يخرجن وعلى أي هيئة يخرجن؟ ومع من يخرجن؟ ومتى يرجعن؟ فكل هذا لا يعنيه وليس من اهتماماته! تضييع للمسئولية، وتبلد في الإحساس، وتفريط في الرعية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأعجب من آخر تخلى عن رجولته، وقوامته، وأصبح في يد امرأته كالكرة في يد الصبيان، فهي الآمرة الناهية ، أما هو فليس له إلا أن يوفر المال ويوصلها إلى الأسواق سافرة متبرجة، لتجولها طولًا وعرضًا، وتفتن عباد الله، وليس له أدنى جرأة على أن يأمرها بمعروف أو ينهاها عن منكر، أين القوامة أين الغيرة؟ بل أين الرجولة ؟.

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

إن الله تعالى جعل القوامة للرجال لما يعلم سبحانه – من طبيعة المرأة، لأنها مهما بلغت من العلم والعقل تحتاج لمن يقوم برعايتها ، فالمرأة العاقلة لا تشعر بالأمان إلا في كنف رجل تلمس فيه العقل والحكمة والحزم، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: 34].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: 228].

فيا من جعل الله لكم على النساء درجة، اتقوا الله فيمن تحت أيديكم من النساء فيجب على كل ولي أن يتعهد من تحت يديه من النساء، بتربيتهن، وأمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر، وتوجيههن إلى معالي الأمور؛ كالدعوة إلى الله، وطلب العلم الشرعي وإعانتهن على ذلك؛ لأن هذا من النصيحة التي أمر بها النبي ﷺ أمته، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال لمالك بن الحويرث ومن معه: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم**»(1).

أما من أبت إلا التبرج والسفور فعلى ولي أمرها أن يتخذ معها التدابير اللازمة لمنعها من هذه المعصية بحكم قوامته عليها قال تعالى:

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

﴿ وَالَّـلاتِي تَخَـافُونَ نُشُـوزَهُنَّ فَعِظُـوهُنَّ وَاهْجُـرُوهُنَّ فِي الْمَضَـاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: 34].

ويقول ابن القيم – رحمه الله تعالى -: (ويجب على ولى الأمر منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكنّ بها كاسيات عاريات إلى أن قال: وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت من الخروج من منزلها ولاسيما إذا خرجت متجملة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية والله سائل ولي الأمر عن ذلك)(1).

والله تعالى أسأل لكل ولي أمر أن يوفقه إلى القيام بمسؤوليته حق القيام، وأن يهدينا جميعاً إلى ما يحب ويرضى ويأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) انظر زينة المرأة المسلمة (86) للشيخ عبد الله الفوزان.

((رسالة إلى مربية))

إلى أختي المربية: إلى الأم الحانية، إلى الداعية الصادقة، إلى المعلمة الفاضلة.

أختي المربية: لا يخفى عليك واقع الأجيال اليوم، وما تقاسيه هذه الأجيال من حرب على الهوية، وغزو للأفكار، وتآمر على العقيدة، وهذا كله ولا شك يجعلنا نشعر بالمسؤولية العظيمة الملقاة على عواتقنا كمربيات؛ لحماية هوية هذه الأجيال، وغرس مكارم الأخلاق فيهم، وإنقاذهم من حرب شعواء اتحدت فيها كل مِلل الكفر لإخراج المسلمين من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والضلال؛ لذلك أوصيك ونفسي بالإخلاص لله تعالى، فالإخلاص سر عظيم، وهو مفتاح التوفيق، وخير معين على تحمل المشاق قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: 5] فمن أخلص لله بارك الله عمله، وحقق أمله، وفتح الله على يديه مغاليق القلوب، وأخذ بيديه إلى معالي الأمور، ووقاه كيد الشيطان.

وعليك بالأخذ بأسباب النجاح في أداء رسالتك التربوية بطلب العلم الشرعي، ولا يمنعك حياؤك من السؤال عن الحق، وتعلم العلم، فبالعلم الشرعي يمكنك أن تقومي بدورك على بصيرة قال تعالى: ﴿ **قُلْ**

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108].

كذلك أختي المربية: احرصي أن تكوني قدوة حسنة لمن تربي؛ لأن المربية التي تتحلى بمكارم الأخلاق تعطى من تربيهم قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور المستطاعة والتي يمكن للقدرات الإنسانية بلوغها في هذا الزمان، وأن الفضائل والشمائل العظيمة ليست قصصاً تروى من حياة السابقين، فشاهد الحال أقوى من شاهد المقال، والتربية بالقدوة أعمق تأثيراً من التلقين والتذكير، وإن غياب القدوة الطيبة في المجال التربوي يؤدي إلى مشكلة كبيرة جدًّا في التربية وهي التذبذب في شخصية المتلقي بين التنظير والتطبيق، ويؤدي كذلك إلى عدم قناعة بالمنهج الذي يتلقاه حينما تناقضاً بين كلام المربي وواقعه، لذلك ذم الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: 2-3].

لذا أختاه احرصي على التحلي بالأخلاق الفاضلة، والسمت الكريم، بالتمسك بالحشمة والوقار حتى تكوني مؤثرة بلسان حالك، وحتى تكوني عنواناً للتقوى والعفاف، والخير والصلاح.

وأخيراً أبشرك بحديث رسول الله ﷺ حيث قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**» الحديث[1].

أسأل الله لي ولك التوفيق والسداد، وأن يجعلنا هداة مهتدين وأن يشرفنا جميعاً بالعمل والدعوة لدين الإسلام العظيم.

---

(1) رواه مسلم (2674/16)، (2060/4).

((حكمة))

إن الله تعالى خلق الجمال على قسمين: جمال ظاهر؛ وهذا لا يخفى على أحد، ويشترك فيه الإنسان والحيوان والطير وغير ذلك من المخلوقات. وجمال باطن يختص الله به من يشاء من عباده ألا وهو العلم الذي يرفع الله به الدرجات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11].

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (إن الله سبحانه جعل في آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات، وأراد سبحانه أن يظهر للملائكة فضله وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه، فدل ذلك على أن العلم أشرف ما في الإنسان، وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم، ونظير ذلك ما فعله بنبيه يوسف لما أراد إظهار شرفه على أهل زمانه كلهم أظهر للملك ولأهل مصر علمه بتأويل رؤيا ما عجز عنه علماء التعبير، فحينئذ قدَّمه ومكنه وسلم إليه خزائن الأرض، وكان قبل ذلك قد حبسه على ما رآه من حسن وجهه وجمال صورته، فلما ظهر له جمال علمه أطلقه من الحبس ومكنه في الأرض ، فدل ذلك على أن صورة العلم عند بني أدم أبهى وأحسن من الصورة الحسية، ولو كانت أجمل الصور)[1].

---

(1) مفتاح دار السعادة (53).

فعجباً لمن تصرف كل همها في الزينة الظاهرة، وتسخِّر كل طاقاتها ووقتها لتحصيل جمالاً قد تشترك فيه مع جمال الحيوانات والطيور وغيرها من المخلوقات، وهو الجمال الظاهر، وتنسى الجمال الباطن الذي اختص الله تعالى به الإنسان ورفعه عن غيره من المخلوقات، والذي به يرفع الإنسان في الدنيا والآخرة.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته

أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

((خاتمة))

هذا الجهد المتواضع سطرت فيه قطوفاً من بستان العفاف، وبعضاً من حكم وأسرار الحجاب، وما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع الكبير، والذي كتب فيه من العلماء والدعاة ما يغنى عن جهدي الكليل إلا جهاداً للواقع المرير الذي تُرفع فيه رايات التبرج والاختلاط، وقد زينت بكلمات خداعات براقات من تحرر وتحضر ومساواة، وغير ذلك من الشعارات، وتحريضاً للمؤمنات الغيورات للتصدي لهذه الحملات بكل الوسائل حتى يعلم أعداء الله أنه ما زال في الأمة الإسلامية مجاهدات من وراء الحجب والأستار، يحملن عقيدة ووعياً مستنيراً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ لا تخدع صاحبتهما ببريق الكلام، ولا يمنعهن حيائُهن من التصدي لشبهات الملحدين أعداء الإسلام.

هذا والله تعالى أسأل أن يبارك في هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين وأن يجعلنا من الهداة المهتدين، وأن يحفظ نساء المسلمين من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس